الباب الثاني عشر

الأخلاقُ الحميدةُ

قد شَهِدَ ربُّ الكَعْبةِ على الأخْلاقِ الحميدةِ لسيّدِ الأولينَ والآخرينَ نبيّنا مُحَمَّدٍ ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأمَرَ أمّته باتّباعِهِ بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فَلَا بدّ للسّالكِ مِنَ التّخلّي عَنِ الأخْلاقِ الرّذيلَةِ والتّحلّي بالأخْلاقِ الجَمِيلةِ، لهذه الآية فُضّلَتِ الأخْلاقُ الحَمِيدةُ في الإسلام على سَائرِ الأعْمَالِ بَعْدَ الإيمَانِ، قال النبيُّ ﷺ: «أكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَاناً أحْسَنُهُم خُلُقاً».

[أخرجه أبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٥]

وأعْجَبُ مِنْ ذلك أنّه أخْبَرَ بأنّ تَعْلِيمَ مَكَارِمِ الأخْلاقِ مَقْصُودُ البَعْثَةِ النّبويّة، قال عليه الصّلاةُ والسّلامُ: «إنّما بُعِثْتُ لأتمّمَ مَكَارِمَ الأخْلَاقِ». وفي رِوايةٍ: «بُعِثْتُ لأتمّمَ حُسْنَ الأخْلَاقِ».

[أخرجه في الموطأ؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤]

وقال: «الدّينُ النّصِيحَةُ».

[أخرجه الترمذي؛ جامع الأصول ج ٦ ص ٥٦٣]

والمُؤْمِنُ لا يُريدُ شرًّا لأحَدٍ، فَعَلَى السّالِكِ أنْ يَنْفَعَ الآخرينَ مَهْمَا أمكنَ في الدّين أو الدّنيا. فأفْضَلُ الأعْمَالِ بعد الإيمانِ إيصالُ الرّاحةِ إلى الخَلْقِ. السيّىءُ الخُلُقِ لا يَرْضَاهُ الخَالِقُ ولا المَخْلُوقُ. نبيُّ اللّه مُوسَى عليه السّلام سَأَلَ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ: مَنْ أحْسَنُ خَلْقِكَ؟ فقال: مَنْ إذا

أصَابَتِ الشَّوكةُ أحَداً يَحْزَنُ. فالسّيرةُ الحَسَنةُ أعْظَمُ شَفَاعَةً عندَ اللّه سُبْحَانَه.

مَكَارِمُ الأخْلَاقِ:

رُوي عَنِ السَّيدةِ عائشةَ الصّديقةِ أنَّ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ عَشْرُ خصالٍ: ١ ـ الصّدقُ في القَولِ. ٢ ـ الصّدقُ في العَمَلِ. ٣ ـ إعْطَاء السَّائلِ. ٤ ـ جزاء الإحْسَانِ. ٥ ـ صِلةُ الرّحِمِ. ٦ ـ حِفْظُ الأمَانَةِ. ٧ ـ إعطَاءُ حقِّ الجَارِ. ٨ ـ إعْطاءُ حقِّ الصّاحِبِ. ٩ ـ إعْطَاءُ حقِّ الضّيْفِ. ١٠ ـ أصْلُ أصُولِها ومَبْنَى هذه كلّها الحَياءُ.

قال شيخٌ: القَلْبُ المُنَوَّر هو ما لَيْس فيه خَلْقٌ (بالفتح) والقَلْب الأسْوَدُ ما ليس فيه خُلُقٌ (بالضم).

جَعَلَتِ المَشَايخُ الخِصَالَ العَشْرَ الآتية عَلَاماتٍ لحُسْنِ الخُلُقِ:

١ ـ مُقَابَلَةُ النّاسِ بِطَلَاقَةِ الوَجْهِ. ٢ ـ مُوَاسَاةُ النّاسِ. ٣ ـ مُسَاعَدَةُ الفُقَراءِ. ٤ ـ عَدَمُ مُخَالَفَةِ النّاسِ في الأمُورِ الحَسَنَةِ. ٥ ـ الاتّقاءُ مِنَ اتّباعِ عُيُوبِ النّاسِ وذِكْرِ عُيُوبِهِمْ. ٦ ـ مُلَاحَظَةُ عُيُوبِ نَفْسِهِ. ٧ ـ إنْ لَامَ أحدٌ فَطَلَبَ التّأويلَ الحَسَنَ. ٨ ـ قَبُولُ مَعْذِرةِ المُذْنِبِ. ٩ ـ الاعْتِدَالُ. ١٠ ـ الاجْتِنَابُ عَمَّا لا يَعْنِيهِ.

وعلى السّالكِ ألّا يؤذي أحَداً مَهْما أمْكَنَ. أسْوأُ الأمْراضِ دَاءُ القَلْبِ، وأسْوأُ أمْراضِ القَلْبِ إيذاء القُلُوبِ.

أخْلَاقُ الصّالِحِينَ:

قالَ الخَوَاجَه أبو الحَسَنِ الخَرْقَاني: مَنْ قَضَى يوماً وليلةً مِنْ غَيْرِ إيذاء مؤمنٍ، فكأنه قَضَى ذلك اليومَ مع النبيِّ عليه الصّلاة والسّلام. ينبغي للسّالكِ أنْ يأتيَ بالحَسَنَةِ في ردّ السّيئةِ ما أمْكَن.

قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [حم السجدة: ٣٤].

أَلا تَرَى أَنَّ شَجَرةَ الصَّنْدلِ تطيّبُ فَمَ الفَأْسِ الذي يَقْطَعُها، وأوراقُ الوَرْدِ تطيّبُ الأيدي التي تَمْسَحُها. قال الخواجه نظامُ الدين أولياء رحمه اللّٰه تعالى: يا حبيبُ إن وَضَعَ أحدٌ الشَّوكَ في طريقِكَ فلا تَضَعْ في طَريقهِ الشّوكَ وإلّا يَنْتشرُ في العَالَمِ كلّه الشّوك فَقَطْ.

فَضَائِلُ حُسْنِ الخُلُقِ:

قال الخَواجه محمّد معصوم رحمه اللّٰه تعالى في مَكْتُوباتهِ عن حُسْنِ الخُلُقِ: يا مَنْ فيه آثارُ الشَّفَقَةِ! الحياة الدنيوية قليلةٌ جداً، والأمُورُ الدائمةُ الأبديةُ مُرتبطةٌ بها، فالسَّعيدُ مَنْ يَسْتَغِلّ هذه الفُرصَةَ ويَعْمَلُ للآخِرَة ويتزوّد للسَّفَرِ الطَّويلِ، واللّٰه سُبْحانه وتعالى جَعَلَكَ مَرْجعاً لحَوائجِ جَمَاعَةٍ، فعليك بشُكْرِ اللّٰه تعالى، والاجْتِهادِ لِقَضَاءِ حَوائجِ الخَلْق، واتَّخِذ خدمةَ عِبَادِ اللّٰه وإمائهِ وسيلةً لنيل دَرَجاتِ الدُّنيا والآخرة، واحْسُبِ المُعَامَلةَ الحَسَنَةَ مع الخَلْقِ والإحْسَانِ إليه، وطَلَاقةَ الوجْهِ لهم، ومُقَابَلَتَهم بِحُسْنِ الخُلُقِ واللين واليُسْرِ مَعَهُمْ سَبَباً لنيلِ رِضَا المَولَى الحقيقيِّ جلّ سُلْطَانُه، وذَريعةً للنَّجَاةِ وتقدّم الدرجات. قال عليه الصَّلاة والسَّلامُ: «الخَلْقُ عِيالُ اللّٰه فأحَبّ الخَلْقِ إلى اللّٰهِ مَنْ أحْسَنَ إلى عِيَالِهِ».

[رواه البيهقي؛ مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

ويذكُرُ عدّة أحَاديثَ. ذِكْرُ بَعْضِ الأحَادِيثِ في فَضيلةِ قَضَاءِ حَاجَاتِ المُسْلِمينَ وإرضَائِهِم، وحُسْنِ الخُلُقِ واللّينِ والإنظارِ أو الحُلْمِ فتدبَّروها تدبراً كَامِلاً. وإنْ بقي إشْكَالٌ فاسأل عنه طالبَ العِلْمِ المتديّنَ.

عن ابنِ عُمَرَ رضي اللّٰه عنهما أنَّ رَسُولَ اللّٰه ﷺ قال: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِم لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه، مَنْ كَانَ في حاجةِ أخيهِ كانَ اللّٰهُ في

حَاجَتِهِ، ومَنْ فرَّجَ عَنْ مُسْلِم كُرْبةً فرَّج اللَّه عنه بها كُرْبةً مِنْ كُرَبِ يومِ القِيامَةِ، ومَنْ سترَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّه يَوْمَ القِيامَةِ».

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود؛ الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٨٩]

وفي روايةِ مُسْلِمٍ: «واللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ».

[أيضاً ص ٣٩٠]

وعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ للَّهِ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لحوائج النَّاسِ يفزعُ الناسُ إليهِمْ في حَوائِجِهِم أولئك الآمِنُونَ من عَذَابِ اللَّه».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٠]

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ للَّهِ أقواماً اخْتَصَّهُمْ بالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ يقرّهُمْ عليها ما بَذَلُوها، فإذا مَنَعُوها نَزَعَها منهم فَحَوّلها إلى غَيْرِهِمْ».

[رواه ابن أبي الدنيا والطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ خَرَجَ في حَاجَةِ أخيهِ كان خَيْراً له من اعْتِكَافِ عَشْرِ سنين، ومَنِ اعْتَكَفَ يوماً ابتغاءَ وجْهِ اللَّه تعالى جَعَلَ اللَّه بَيْنَه وبيْنَ النَّارِ ثلاثَةَ خَنَادِقَ كلّ خَنْدَقٍ أبْعَدُ مما بَيْنَ الخَافِقَيْنِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

«مَنْ مَشَى في شيءٍ منْ حَاجةِ أخيهِ حتى يُثْبِتَها له أظَلَّه اللَّه عزّ وجلّ بخمسةٍ وسَبْعِينَ ألف مَلَكٍ يُصَلُّونَ عليه ويَدْعُونَ له إن كانَ صَبَاحاً حتى يُمْسِي وإنْ كان مَسَاء حتى يُصْبِحَ، ولا يَرْفَعُ قَدَماً إلَّا حَطَّ اللَّه عنه بها خَطِيئةً ورفَعَ له بهَا دَرَجَةً».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وقَالَ أيضاً: «مَنْ مَشَى في حَاجَةِ أخيهِ المُسْلِمِ كَتَبَ اللَّه له بِكُلِّ خُطْوَةٍ سَبعينَ حَسَنَةً ومَحَا عنه سَبعينَ سيئةً إلى أن يَرْجِعَ مِنْ حيثُ فَارَقَه،

فإن قُضِيَتْ حَاجَتُه على يَدَيْه خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كيومِ وَلَدَتْه أمّه، وإنْ هَلَكَ فيما بَيْنَ ذلك دَخَلَ الجنَّةَ بغيرِ حِسَابٍ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ كَانَ له وَصْلَةٌ لأخيهِ المُسْلِمِ إلى ذي سُلْطَانٍ في مبلغ برّ، أو تيسيرِ عَسيرٍ أعانه اللّه على إجازةِ الصِّراطِ يومَ القِيَامَةِ عِنْدَ دَحْضِ الأقْدَامِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٣]

وقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلامُ: «أفْضَلُ الأعْمَالِ إدْخَالُ السّرورِ على المُؤمنِ، كَسَوْتَ عَوْرَتَه أو أشْبَعْتَ جَوْعتَه، أو قَضَيْتَ له حاجَتَهُ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إنَّ أحبَّ الأعْمَالِ إلى اللّه تعالى بعد الفَرَائِضِ إدْخَالُ السُّرورِ على المُسْلِمِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وقال عليه الصَّلاة والسَّلامُ: «ما أدخلَ رَجُلٌ على مؤمنٍ سُروراً إلا خَلَقَ اللّه عزّ وجلّ منْ ذلِكَ السُّرورِ مَلَكاً يَعْبُدُ اللّه عز وجل ويوحّده، فإذا صار العبدُ في قَبْرِهِ أتاه ذلك السرور، فيقول: أما تَعْرِفُني؟ فيقولُ له: مَنْ أنت؟ فيقولُ: أنا السُّرورُ الذي أدْخَلْتَنِي على فُلَانٍ. أنا اليوم أؤنس وحشتك وألقنك حِجّتك وأثبّتكَ بالقَوْلِ الثَّابتِ، وأُشْهِدُكَ مَشَاهِدَكَ يوْمَ القِيَامَةِ وأشْفَعُ لكَ إلى ربّكَ وأُرِيكَ مَنْزِلَكَ مِنَ الجَنَّةِ».

[رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ؛ أيضاً ص ٣٩٥]

وعنْ أبي هُريرة رضي اللّه عنه قال: سُئِلَ رسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ أكْثَرِ ما يدخلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قال: «تَقْوَى اللّهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ»، وسُئِلَ عَنْ أكْثَرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فقال: «الفَمُ والفَرْجُ».

[رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ مِنْ أكْمَلِ المؤمنينَ إيماناً أحْسَنَهُم خُلُقاً وألْطَفَهُمْ بأهْلِهِ».

[رواه الترمذي والحاكم؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وقال ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيم دَرَجَاتِ الآخِرَةِ، وشَرَفَ المَنَازِلِ، وإنه لَضَعِيفُ العِبَادَةِ، وإنه لَيَبْلُغُ بسُوءِ خُلُقِهِ أسْفَلَ دَرَجَةٍ في جَهَنَّمَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤٠٤]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بأيْسَرِ العِبَادَةِ وأهْوَنِها على البَدَنِ: الصَّمْتُ، وحُسْنُ الخُلُقِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٠٥]

وروي أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ من قِبَلِ وَجْهِهِ فقال: يا رسُولَ اللَّه! أيّ العَمَل أفْضَلُ؟ قال: «حُسْنُ الخُلُقِ». ثم أتاه عن يمينِهِ، فقال: أيّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ قال: «حُسْنُ الخُلُقِ»، ثم أتاه عن شِمَالِهِ، فقال: يا رسول اللَّه! أي العَمَلِ أفْضَلُ؟ قال: «حُسْنُ الخُلُقِ»، ثم أتاه من بعده، يعني من خَلْفِهِ، فقال: يا رسول اللَّه! أي العَمَلِ أفْضَلُ؟ فَالْتَفَتَ إليه رَسُولُ اللَّه ﷺ، فقال: «ما لَكَ لا تَفْقَهُ، حُسْنُ الخُلُق هو أن لا تغضب إن استطعت».

[رواه محمد بن نصر المروزي؛ أيضاً ص ٤٠٥، ٤٠٦]

وقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلامُ: «أنا زَعِيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وإن كان مُحِقاً، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكَذِب وإن كان مَازِحاً، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقُه».

[رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه والترمذي أيضاً ص ٤٠٦]

وَرَوَى جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّه رضي اللَّه عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ، عَنْ جِبْرِيلَ عَنِ اللَّه تعالى قال: «إنَّ هذا دِينٌ أرتَضِيه لِنَفْسي، ولَنْ يَصْلُحَ

له إلا السَّخاءُ، وحُسْنُ الخُلُقِ، فأكْرِمُوه بهما ما صَحِبْتُمُوهُ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤٠٦]

وقال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «الخُلُقُ الحَسَنُ يُذِيبُ الخَطَايَا كَمَا يُذِيبُ الماءُ الجَلِيدَ، والخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ العَمَلَ كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١١]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ اللَّه رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْق في الأمْرِ كلّه».

[رواه البخاري ومسلم؛ أيضاً ص ٤١٥]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ اللَّهَ عزّ وجلَّ يحبُّ الرِّفْق وَيَرْضَاهُ ويعينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى العُنْفِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١٦]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ألا أُخْبِرُكُم بمَنْ يحرّم على النَّارِ، أو بِمَنْ تَحْرُم عليه النَّارُ؟ تَحْرُمُ على كُلّ هيّن ليّن سَهْلٍ».

[رواه الترمذي؛ أيضاً ص ٤١٨]

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «التَّأنّي مِنَ اللَّه والعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وما أحَدٌ أكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شيءٍ أحبُّ إلى اللَّهِ مِنَ الحَمْدِ.

[رواه أبو يعلى؛ أيضاً ص ٤١٨]

وقَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لَيُدْرِكُ بالحُلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان؛ أيضاً ص ٤١٨]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ على مَنْ أُغْضِبَ فَحَلُمَ».

[رواه الأصبهاني؛ أيضاً ص ٤١٩]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بما يشرّف اللَّه به البُنْيان،

ويَرْفَعُ به الدَّرَجاتِ»؟ قالوا: نَعَمْ يا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «تَحْلُمُ على مَنْ جَهِلَ عليك، وتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ».

[رواه الطبراني والبزار؛ أيضاً ص ٤١٩]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ليسَ الشَّدِيدُ بالصَّرعَةِ، إنما الشَّدِيدُ الذي يملكُ نَفْسَه عِنْدَ الغَضَبِ».

[رواه البخاري ومسلم، أيضاً ص ٤٢٠]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مِنَ الصَّدقَةِ أن تُسلِّمَ على النَّاسِ، وأنْتَ طَلِيقُ الوَجْهِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٢١]

وقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلامُ: «تبسّمُكَ في وَجْهِ أخيكَ صَدَقَةٌ، وأمْرُكَ بالمَعْروفِ ونَهْيكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وإرشَادُكَ الرَّجُلَ في أرْضِ الضَّلَالِ لكَ صَدَقَةٌ، وإماطَتُكَ الأذَى والشَّوكَ والعَظْمَ عَنِ الطَّريقِ لك صَدَقَةٌ، وإفْراغُكَ من دَلْوِكَ في دَلْوِ أخِيكَ صَدَقَةٌ».

[رواه الترمذي؛ أيضاً ص ٤٢٢]

وقال ﷺ: «إنَّ في الجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُها من باطِنِهَا، وباطِنُهَا من ظاهِرِها»، قال أبو مَالِكٍ الأشعريّ: لِمَنْ هي يا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: «لِمَنْ أطَابَ الكَلَامَ، وأطْعَمَ الطَّعَامَ، وبَاتَ قَائِماً والنَّاسُ نِيامٌ».

[رواه الطبراني والحاكم؛ أيضاً ص ٤٢٣].

أخَذْنَا هذه الأحَادِيثَ مِنْ كِتابِ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ. وهُوَ كِتَابٌ مِنَ الكُتُبِ المعتبرةِ في عِلْمِ الحديثِ وفَّقَنَا اللَّه تعالى للعَمَلِ على مُقْتَضَاهَا. يجبُ علينا مُقَارَنَة صَفْحَةِ أوضَاعنا بمَفْهُومِ هذه الأحَادِيثِ، والشُّكْرُ على ما وَافَقَ الأحَادِيثَ. وما لَمْ يُوافِقْ يجبُ أنْ نَدْعُوَ اللَّهَ تعالى بعَجْزٍ وتَضَرُّعٍ أن يُوَفِّقَ للعَمَلِ بها. ومَنْ لم يَجِدْ توفيقَ العَمَلِ بها فَوْرِيًّا فَلَا بدَّ أن يَقِرَّ

بذنبه لا مَحَالةَ. وهذا الاعْتِرَافُ نِعْمَةٌ أيضاً مِنَ اللّه عَظِيمَةٌ. مَعَاذَ اللّه أن لا يَكُونَ لأحَدٍ تَوفيقُ العَمَلِ، ولا يَرَاه مُذْنِباً، إذْ ليسَ لَدَيْهِ مِنَ الإسْلامِ إلا قَليلٌ. (ثم ذكر بيتاً معناه).

مَنْ وَجَدَهُ فَقَدْ وَجَدَ كنزاً كبيراً مَنْ لَمْ يَجِدْ فَحَسْبُه حُزْنُ فَوَاتِهِ

[المكتوبات المعصومية الدفتر الأول المكتوب رقم ١٤٧]

أمثلة نادرة للنصح:

١ ـ كان نبيُّ اللّه سُلَيْمَانُ عليه السّلام يذهب بجنوده إذ مرَّ بوادي النَّمْلِ فـ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وقد رضي اللّه تعالى بِنُصْحِها، فَذَكَر قصَّتَها في القُرآنِ المَجِيدِ وسمَّى سُورَةً بِسُورَةِ النَّمْلِ، فَتَدَبّر لما كَانَ هذا جزاء اللّه تعالى لِنَمْلَةٍ، فما بَالُ جَزَاء مُؤْمِنٍ نَصَحَ لمؤمنٍ. اللّه أكبر كبيراً.

٢ ـ يُلْقَى فَرْثُ الحيواناتِ وعذارُ الإنْسَانِ في الحَقْل، فَيَعْمَلانِ هناك عَمَلَ السَّمَادِ ويطيبُ به الزّرعُ، فتدبَّر. إنّ النَّجَاسَةَ تَفيد زَرْعاً تصحبُه، فإن لم نَفِدْ نحن الناس الذين هم أشْرَفُ الخَلْقِ، أوَلَسنا أنقَصَ وأهْوَنَ مِنَ القَذَرِ والنَّجَاسةِ؟

٣ ـ كانَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ نَائِماً في ظَهِيرةِ الصَّيْفِ، وكَانَتْ جَارِيةٌ تُرَوِّحُ بمروَحَةٍ فأخَذَها النَّومُ فنامَتْ جَالِسةً، فاسْتَيقَظَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ رحمه اللّه تعالى فَوَجَدَها نَائِمَةً، فأخَذَ المَرْوحَةَ مِنْ يَدِها وبدأ يروّح. كانت الجَارِيةُ مُتْعَبَةً فَنَامَتْ نَوْماً طويلاً عميقاً، فلما اسْتَيقَظَتْ ورأتْ أميرَ المُؤمنينَ يروّحُها تَحَيّرتْ، فقال: لا تَحْزَني إنَّكِ إنْسَانٌ كما أنّي إنْسَانٌ رأيتُكِ نائِمةً فأحْبَبْتُ أن أُروّحَ وأبْتَغِي رِضَا اللّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

٤ ـ كان الإمَامُ أبو حنيفةَ رَحِمَه اللّه يَبِيعُ الأقْمِشَةَ في شَبَابِهِ. أغْلَقَ دُكَّانَه

يَوْماً مُبْكراً وذَهَبَ إلى بَيْتِهِ، فَسَأَلَه شَخصٌ فقال: السَّماءُ اليومَ مُغْبَرّة ويمكن أن لا يُدْرِكَ الزَّبُونُ نَوْعَ القِمَاش ولونَه إدراكاً تامًّا، فأغْلَقْتُ الدَّكَّانَ حتى لا يَنْخَدِعَ زَبُونٌ فيَحْسَب الثَّوبَ الرخيصَ ثميناً.

٥ ـ فَاتِحُ مِصْرَ سيدُنا عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه لمَّا فَتَحَ مِصْرَ دَخَلَ خَيْمَتَه فرأى حَمَامَةً بَاضَتْ واتَّخَذَتْ عُشًّا، فأذِنَ للجُنُودِ بالرَّحِيلِ وتَرَكَ فِسْطَاطَه قائماً هناك حتى لا تتأذّى الحمامة. ويقال للخيمة في العربية: فِسْطَاطٌ. وهُنَاكَ مدينةٌ قَائِمَةٌ حتى الآنَ اسْمُها فِسْطَاطٌ تَشْهَدُ بعظَمَةِ عَمْرو بن العاص رضي اللَّه عنه.

٦ ـ كانَ مَوْلَانا الرّومي مع تَلَامِذَتِهِ يمشي على طريق ضيّق بالمزرعة، فرأى كَلْباً يَنَامُ، فوقَفَ مَعَ جَمَاعَتِهِ هناك حتى قام الكَلْبُ نَفْسُه وذَهَبَ إلى جَانِبٍ، فَعَلَ المَولَى هذا حتى لا يقع أي خلل في نوم الكلب.

٧ ـ قَامَ الْخواجة باقي باللَّه مرة للتهجّد وكان البَرْدُ شديداً، فصَلَّى التَّهَجّدَ وتَقَدَّم إلى فِرَاشِهِ ليجْلِسَ فيه، وَجَدَ هرةً جاءتْ واقْتَحَمَتِ الفِرَاشَ، فَبَاتَ الشَّيْخُ يتبرّد على السَّجَادَةِ ولم ترضَ نفسه بإخراج الهرة من الفراش.

٨ ـ خَدَمَ الخَوَاجَه بهاء الدّين نَقشبَنْد البُخَارِيّ كَلْباً جَرِيحاً سَبْعَةَ عَشَرَ يوماً، فلمَّا أفَاقَ الكَلْبُ أعطَاهُ اللَّه من العُلومِ والمَعَارِفِ حتى أصبح إماماً للسّلسلة العالية النقشبندية.

٩ ـ في الحديثِ الشّريفِ، أن عَاهِرةً سقت كَلْباً عطشان فَغُفِرَ لها، فعلى السالك أن يحسب نصح الآخرين ذريعة لنجاته، وقد فَعَلَ السَّلَفُ الصالحون بالحيواناتِ من حُسْنِ الخُلُقِ ما نرى، أليس لنا أن نُعَامِلَ الأناسي معاملة حسنة، الإسْلَامُ سَلَكَ جميعَ المُؤْمِنينَ في سِلْكِ المُؤَاخَاةِ.

فَضَائِلُ الأُخُوَّةِ الإسلامية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النَّبيُّ ﷺ: «من أرَادَ اللَّهُ به خَيْراً رَزَقَهُ خَلِيلاً صَالِحاً إنْ نَسِي ذكَّره وإن ذَكَر أعَانَه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي روايةٍ: «مَثَلُ الأَخَوَيْنِ إذا الْتَقَيا مَثَلُ اليَدَيْنِ تَغْسِلُ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى، وما الْتَقَى مُؤْمِنان قطّ إلَّا أفَادَ اللَّهُ عزّ وجَلّ أحَدَهُما مِنْ صَاحِبِهِ خَيْراً».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

رُوي عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ: «مَنْ آخَى أخاً في اللَّه عَزّ وجَلّ رَفَعَهُ اللَّهُ عزّ وجل دَرَجَةً في الجَنَّةِ لا يَنَالُها بشيءٍ مِنْ عَمَلِهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروينا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثاً غَرِيباً في تَفْسِيرِ قَوْلِه تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [الشورى: ٢٦] قال: يشفَعُهم في إخْوتِهِم فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ مَعَهُم، ومِمّن مَالَ إلى هذا الطَّريقِ ابنُ المسيّبِ، والشعبيّ، وابن أبي لَيْلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وشريك بن عبد اللَّه، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل ومن وافقهم.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ مَأْلَفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «المُؤْمِنُ كَثِيرٌ بأخيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب رضي اللَّه عنه: ما أُعْطِي عَبْدٌ بَعْدَ الإسْلَامِ

يَوْماً مُبْكراً وذَهَبَ إلى بَيْتِهِ، فَسَأَلَه شَخصٌ فقال: السَّماءُ اليومَ مُغْبَرّة ويمكن أن لا يُدْرِكَ الزَّبُونُ نَوْعَ القِماش ولونَه إدراكاً تامًّا، فأغْلَقْتُ الدّكّانَ حتى لا يَنْخدِعَ زَبُونٌ فيَحْسَب الثَّوبَ الرخيصَ ثميناً.

٥ ـ فَاتِحُ مِصْرَ سيدُنا عمرو بن العاص رضي اللّه عنه لمَّا فَتَحَ مِصْرَ دَخَلَ خَيْمَتَه فرأى حَمَامَةً بَاضَتْ واتَّخذَتْ عُشًّا، فأذِنَ للجُنُودِ بالرّحِيلِ وتَرَكَ فِسْطَاطَه قائماً هناك حتى لا تتأذّى الحمامة. ويقال للخيمة في العربية: فِسْطَاطٌ. وهُنَاكَ مدينةٌ قَائِمَةٌ حتى الآنَ اسْمُها فِسْطَاطٌ تَشْهَدُ بعظَمَةِ عَمْرو بن العاص رضي اللّه عنه.

٦ ـ كانَ مَوْلَانا الرّومي مع تَلامِذَتِهِ يمشي على طريق ضيّق بالمزرعة، فرأى كَلْباً يَنَامُ، فوقَفَ مَعَ جَمَاعَتِهِ هناك حتى قامَ الكَلْبُ نَفْسُه وذَهَبَ إلى جَانِبٍ، فَعَلَ المَولَى هذا حتى لا يقع أي خلل في نوم الكلب.

٧ ـ قَامَ الْخواجة باقي باللّه مرة للتهجّد وكان البَرْدُ شديداً، فصَلَّى التَّهَجّدَ وتَقَدّم إلى فِرَاشِهِ ليجْلِسَ فيه، وَجَدَ هرةً جاءتْ واقْتَحَمَتِ الفِرَاشَ، فَبَاتَ الشَّيْخُ يتبرّد على السَّجَادَةِ ولم ترضَ نفسه بإخراج الهرة من الفراش.

٨ ـ خَدَمَ الخَوَاجَه بهاء الدّين نَقشبَنْد البُخَاريّ كَلْباً جَرِيحاً سَبْعَةَ عَشَرَ يوماً، فلمَّا أفَاقَ الكَلْبُ أعطَاهُ اللّه من العُلومِ والمَعَارفِ حتى أصبح إماماً للسّلسلة العالية النقشبندية.

٩ ـ في الحديثِ الشّريفِ، أن عَاهِرةً سقت كَلْباً عطشان فَغَفَرَ لها، فعلى السالك أن يحسب نصح الآخرين ذريعة لنجاته، وقد فَعَلَ السَّلفُ الصالحون بالحيواناتِ من حُسْنِ الخُلُقِ ما نرى، أليس لنا أن نُعَامِلَ الأناسي معاملة حسنة، الإسْلَامُ سَلَكَ جميعَ المُؤمِنينَ في سِلْكِ المُؤَاخَاةِ.

فَضائِلُ الأُخُوَّةِ الإسلامية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النَّبيُّ ﷺ: «من أرَادَ اللَّهُ به خَيْراً رَزَقَهُ خَلِيلاً صَالِحاً إنْ نَسِي ذكّره وإن ذَكَر أعَانَه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي روايةٍ: «مَثَلُ الأخَوَيْنِ إذا الْتَقَيا مَثَلُ اليَدَيْنِ تَغْسِلُ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى، وما الْتَقَى مُؤْمِنان قطّ إلَّا أفَادَ اللَّهُ عزّ وجَلّ أحَدَهُما مِنْ صَاحِبِهِ خَيْراً».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

رُوي عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ: «مَنْ آخَى أخاً في اللَّه عَزّ وجَلّ رَفَعَهُ اللَّهُ عزّ وجل دَرَجَةً في الجَنَّةِ لا يَنَالُها بشيءٍ مِنْ عَمَلِهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروينا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثاً غَرِيباً في تَفْسِيرِ قَوْلِه تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [الشورى: ٢٦] قال: يشفَعُهم في إخْوتِهِم فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ مَعَهُم، ومِمّن مَالَ إلى هذا الطَّريقِ ابنُ المسيّبِ، والشعبيّ، وابن أبي لَيْلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وشريك بن عبد اللَّه، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل ومن وافقهم.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ مَأْلَفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «المُؤْمِنُ كَثِيرٌ بأخيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب رضي اللَّه عنه: ما أُعْطِي عَبْدٌ بَعْدَ الإسْلَامِ

خَيْراً مِنْ أخٍ صَالحٍ، وقال أيضاً: إذا رَأى أَحَدُكم ودًّا مِنْ أخيهِ فَلْيَتَمَسَّكْ به فقلّما تصيبُ ذلك.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٥]

وقد قيلَ: أوّلُ ما يُرْفَعُ مِنْ هذه الأمّةِ الخُشُوعُ، ثم الورَعُ، ثم الأَمانَةُ، ثم الألفةُ.

[أيضاً ص ٤١٤]

وقَدْ قَالَ بَعْضُ الحُكَماءِ في مَعْنَاه كَلَاماً مَنْظُوماً شعراً:

ما نَالَتِ النَّفْسُ عَلَى بغيةٍ ... أَلَذّ مِنْ ودّ صَدِيقٍ أمين

مَنْ فَاتَه ودّ أخٍ صَالِحٍ ... فَذَلِك المَقْطُوعُ مِنْه الوتين

[أيضاً ص ٤١٥]

وفي وصيّةِ عُمَر بن الخطاب رضي اللّه عنه التي رَويناها، عَنْ يَحْيى بنِ سَعيدٍ الأنصاريّ، عنْ سعيدِ بن المُسيّب قال: قَالَ عُمَرُ رضي اللّه عنه: عَلَيْكَ بإخوانِ الصّدقِ تَعِشْ في أكْنَافِهِمْ، فإنَّهُم زينةٌ في الرَّخاءِ وعدّةٌ في البَلَاءِ.

[أيضاً ص ٤١٧]

وروّينا في حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللّه عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «المُتَحَابّونَ في اللّه عَزّ وجَلّ عَلَى عَمُودٍ من يَاقُوتَةٍ حَمْراء، في رأسِ العَمُودِ سَبْعُونَ ألفَ غُرْفَةٍ، مُشْرِفُونَ على أهْلِ الجَنَّةِ، يُضِيءُ حُسْنُهُم لأهْلِ الجَنَّةِ كما تُضِيءُ الشَّمْسُ لأهْلِ الدُّنيا، عليهِمْ ثيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ مَكْتُوبٌ على جِبَاهِهِمْ: هؤلاء المُتَحَابُّونَ في اللّهِ عزّ وَجَلّ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٩ واللفظ له، عوارف المعارف ص ٢٠٨؛ وإحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٤]

وعَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ وعُبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ رضي اللّه عنهما، أنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فيما يُؤْثَرُ عن ربِّه تبارك وتعالى: «حَقَّتْ مَحَبَّتي للمُتَحَابِّينَ فيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتي للمُتَواصِلينَ فيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَبَاذِلينَ فيَّ».

[الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٨، ١٩ واللفظ له؛ وقوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠]

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «المُتَحَابُّونَ في اللَّهِ عزّ وجَلّ إذا التَقَوْا فَكَشَّر بَعْضُهُم إلى بعْضٍ تَتَحَاتّ عنهمُ الخَطَايا كما يَتَحَاتّ وَرَقُ الشَّجَرِ في الشّتاءِ إذَا يَبِسَ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٥]

ورُوِّينَا عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ في ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه مِنْهُمْ كَذَا واثْنَانِ تآخَيَا في اللَّهِ عزَّ وجَلَّ، اجْتَمَعَا على ذَلِكَ وتَفَرَّقَا».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠؛ الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٥، ١٦]

وكانَ الفُضَيْلُ بنُ عياضٍ رَحمهُ اللَّهُ تعالى وغيره يقول: «نَظَرُ الأخِ إلى وجه أخيهِ على المودّةِ والرّحمةِ عبادة».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠]

وعَنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً في اللَّهِ تعالى في قَرْيةٍ أُخْرَى، فأرْصَدَ اللَّهُ على مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً فقال: أيْنَ تُريدُ؟ قَالَ: أرَدْتُ أخاً لي في هذه القريةِ، قَالَ: هل بَيْنَكَ وبَيْنَه رَحِمٌ تَصِلُها، أو لَهُ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ تُربّها، قَالَ: لَا، إلَّا أنّي أَحْبَبْتُه في اللَّهِ تَعالى. قَالَ: فإنّي رَسُولُ اللَّهِ إليك، إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالى قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فيه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢١]

وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وعَنِ ابنهِ عَبْدِ اللَّه رضي اللَّه

عنهما: لو أنَّ رَجُلاً صَامَ النَّهارَ لا يَفْطِرُ، وقَامَ اللَّيلَ، وجَاهَدَ ولَمْ يُحِبّ في اللَّهِ عزَّ وجَلّ ولمْ يُبْغِضْ في اللَّهِ ما نَفَعَهُ ذَلك شَيْئاً.

[عوارف المعارف ص ٢٠٩]

وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ أنَّه قَالَ لأَصْحَابِهِ: «أيّ عُرَى الإيمَانِ أَوْثَقُ؟» قَالُوا: الصَّلاةُ، قال: «حَسَنَةٌ ولَيْسَ بِهِ». قالوا: الحَجّ والجِهَادُ. قال: «حَسَنَةٌ ولَيْسَ بِهِ» قَالُوا: فأخْبِرْنا يا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «أوْثَقُ عُرَى الإيمَانِ: الحُبُّ في اللَّهِ تعالى والبُغْضُ فيه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٢]

وفي حَدِيثِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامتِ، وقَالَ مُوسَى بنُ عُقْبَةَ: كُنْتُ أَلْقَى الأَخَ مِنْ إخْواني مَرَّةً فأقيم عَاقِلاً بلقائِهِ أياماً.

[أيضاً ص ٤٢٣]

وقَالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمَانَ: كُنْتُ إذَا وَجَدْتُ في نَفْسِي فترةً، نَظَرْتُ إلى محمّد بنِ واسِعٍ، وكان مَحَمَّدُ بنُ واسِعٍ يقولُ: ما بَقِي في الدُّنْيا شيءٌ ألذه إلَّا ثَلَاثٌ: الصَّلَاة في جَمَاعةٍ، والتهجّد مِنَ اللَّيلِ، ولِقَاءُ الإخْوانِ. وكان الحَسَنُ وأبو قُلَابَةَ يقولان: إخْوانُنا أحبّ إلينا من أهْلِينا وأولادِنا لأنَّ أهْلِينا يُذَكِّرُونَنا الدّنيا وإخوانُنا يذكرونَنا الآخِرَةَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٣]

شروط أساسية للأخوّة:

يُشْتَرَطُ لِوُقُوعِ المُؤَاخَاةِ بيْنَ شَخْصَيْنِ أَوَّلاً التَّجَانُسُ أي التَّمَاثُلُ في أحْوَالِهِما كأن يَكُونَا صَالِحَيْن أو مُرِيدَيْنِ لِشَيْخٍ واحِدٍ، أو يَكُونَا مِنْ حَمَلَةِ العِلْمِ الظَّاهِرِ أو البَاطِنِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لا تَتَحَقَّقُ الأُلْفَةُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إلَّا لِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ الأَرْبَعَةِ:

١ ـ الاتّحادُ في العَزْمِ (كأن يَكُونَا سَالِكَيْن).

٢ ـ الاشْتِرَاكُ في الحَالِ (كأن يَكُونَا دَاخِلَيْن في سِلْسِلَةٍ واحِدَةٍ).

٣ ـ التَّقَارُبُ في العِلْمِ (كأن يَكُونَا صاحِبَيْ نِسْبَةٍ).

٤ ـ الاتّفاقُ في الأخْلَاقِ (كأنْ يَكُونَا مُتَوَاضِعَيْنِ).

وإنْ كَانَ بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ في الأمُورِ الأرْبَعَةِ تشتدُّ مؤاخَاتهما، ولذا قيل: الجِنْسُ يميلُ إلى الجِنْسِ.

قال أبو طالب: وقد رُوِّينا في حديثٍ: «إنَّ الأرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تَعَارَفَ منها ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ» إلى أنْ قَالَ: وفي هذا الخبرِ زيادة: ولو أنَّ مُؤْمِناً دَخَلَ إلى مَجلِسٍ فيه مائةُ مُنَافِقٍ، وفيه مُؤْمِنٌ واحِدٌ لَجَاءَ حتى يَجْلِسَ إليه. ولو أنَّ مُنَافِقاً دَخَلَ إلى مَجْلِسٍ فيه مائة مُؤْمِنٍ، وفيه مُنَافِقٌ واحِدٌ لجَاءَ حتَّى يَجْلِسَ إليه. وقَدْ ذُكِرَ لهذا الحَدِيثِ سَبَبٌ على ما ذَكَرْنَاهُ وهو أنَّ امرأةً عَطَّارةً كانَتْ بِالمدينةِ مِنْ أُحُدٍ فَقَدِمَتِ امرأةٌ مِنْ مَكَّةَ عَطَّارَةٌ وكانت مزَّاحَةً، فقال رسول اللَّه ﷺ: «عَلَى مَنْ نَزَلَتْ»؟ قيل: عَلَى فُلَانَة.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٢]

وكذلك رُوِّينا في حَدِيثِ المُؤَاخَاةِ الذي آخَى فيه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بين أصْحَابِهِ، فآخى بيْنَ اثنينِ شَكْلَيْنِ في العِلْمِ والحَالِ، آخى بيْنَ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ، وبين عُثْمَانَ وعَبْدِ الرَّحمنِ، وهما نَظِيرانِ. وآخى بين سَلْمَانَ وأبي الدَّرداءِ وهُمَا شَكْلَانِ في العِلْمِ والزُّهْدِ، وآخَى بين عَمَّارٍ وسَعْدٍ وكَانَا نَظِيرَيْن، وآخى بين عليٍّ وبينه رضي اللَّه عنهم أجمعين، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

رُوِي أنَّ مَعْروفاً سأله رَجُلٌ فقال: يا أبا مَحْفُوظٍ: هذان الرَّجُلَانِ

إمَامَا هذا البَلَدِ فأشِرْ عليَّ أيَّهُمَا أصْحَبُ؟ فإنّي أريدُ أن أتأدّبَ به: أحْمَدُ أبنُ حَنْبَلٍ أوْ بِشْرُ بنُ الحَارِثِ، رضي اللّه عنهما؟ فقالَ له مَعْروفٌ: لا تَصْحَبْ أحَدَهُمَا فإنَّ أحمد صاحِبُ حديثٍ، وفي الحديثِ اشْتِغَالٌ بالنَّاسِ، فإن صَحِبْتَه ذَهَبَ ما تَجِدُ في قَلْبِكَ مِنْ حَلَاوةِ الذِّكْرِ وحُبِّ الخَلْوةِ، وأمَّا بشرٌ فلا يَتَفَرّغُ لَكَ ولا يُقْبِلُ عليك شُغْلاً بحَالِه، ولكِنِ اصْحَبْ أسْوَدَ بنَ سَالِمٍ فإنه يُصْلِحُ لكَ ويقبلُ عليكَ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذلك فانْتَفَعَ به. وإنَّما ضَمَّهُ مَعْرُوفٌ رضي اللّه عنه إلى الأسْودِ دونهما، لأنه كان أليَقَ بحالِهِ وأشْبَهَ بوصْفِهِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

قالَ بعْضُ عُلَمَاءِ العَرَبِ: الصَّاحِبُ كالرّقْعَةِ في الثَّوبِ إنْ لمْ تَكُنْ من جِنْسِهِ شَانَتْهُ.

[أيضاً ص ٤٥٢]

ويُقَالُ: إذا اصْطَحَبَ اثْنَانِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ ولم يَتَشَاكَلَا في الحَالِ، فلَا بدّ أن يَتَفَرّقا. وقد أنْشَدَنا بَعْضُ العَرَبِ لبعضِ الحُكَمَاءِ في مَعْنَاهُ:

وَقَائِلٍ لِمَ تَفَرّقْتُمَا ... فَقُلْتُ قَوْلاً فيه إنْصَافُ

لَمْ يَكُ مِنْ شَكْلِي فَفَارَقْتُه ... والنَّاسُ أشْكَالٌ وإلَّافُ

[أيضاً]

الحبيبُ كيف يكونُ؟

كَانَ بِشْرُ بْنُ الحَارِثِ يقولُ: لا تُخَالِطْ مِنَ النَّاسِ إلا حَسَنَ الخُلُقِ فإنَّه لا يأتي إلا بِخَيْرٍ، ولا تُخَالِطْ سيءَ الخُلُقِ فإنه لا يأتي إلا بِشَرٍّ.

[أيضاً ص ٤٣٥]

وقالَ الثَّوريُّ: إذا أرَدْتَ أنْ تُؤَاخِيَ رَجُلاً فأغْضِبْه، ثمّ دسّ عليه مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْك فإن قَالَ خَيْراً فاصْحَبْه، وقال غيره: لَا تُؤَاخِيَنَّ أحداً حتى

تَبْلُوَه وتَفْشِي إليه سِرًا ثمّ جافِهِ واسْتَغْضِبْه، وانْظُرْ فإنْ أفْشَى عليك فاجْتَنِبْه، وقيل لأبي يزيدَ: مَنْ أصْحَبُ مِنَ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ يَعْلَمُ مِنْكَ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ عزّ وجلّ، ويَسْتُرُ عليْكَ ما يَسْتُرُ اللَّهُ تعالى.

[أيضاً ص ٤٣٥]

كَانَ أُنْمُوذَجُ فِعْلي لـ: (تَخَلّقوا بأخْلَاقِ اللّه).

كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يقولُ: لَا تُؤَاخِ مِنَ النَّاسِ إلَّا مَنْ لا يَتَغَيَّر عليك في أرْبَع: عِنْدَ غَضَبِهِ وَرِضَاهُ، وعِنْدَ طَمَعِهِ وهَوَاهُ. وقَالَ بَعْضُ الأدباء: لا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إلا مَنْ كَانَ على هذا الوصْفِ: يَكْتُمُ سرّكَ ويَنْشُرُ بِرّك ويَطْوي عَيْبَك، ويَكُونُ في النَّوائبِ مَعَكَ وفي الرَّغائبِ يُؤْثِرُ.

[أيضاً ٤٣٦]

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: لَا تَصْحَبْ إلَّا أحَدَ رَجُلَيْن: رَجُلاً تَتَعَلَّمُ مِنْه شيئاً من أمْرِ دينِكَ فَيَنْفَعُكَ، أو رَجُلاً تُعَلّمُه شيئاً من دِينهِ فيقبلُ منك. والثَّالثُ اهْرُبْ منه. وقال ابن أبي الحَوارِي، قال لي أسْتَاذِي أبو سُلَيْمَانَ: يا أحْمَدُ لا تَصْحَبْ إلا أحد رَجُلين [رَجلٍ] تَرْتَفِقُ به في دُنياك، أوْ رَجُلٍ تزيد معه وتَنْتَفِعُ به في آخرتك.

[أيضاً ص ٤٣٧]

كان أبو ذرٍّ يقولُ: الوحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ والجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الوحْدَةِ.

[أيضاً]

وأوصَى بَعْضُ السَّلَفِ ابنَه فقالَ: يا بنيَّ لا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إلا مَنْ إنِ افْتَقَرْتَ قَرُبَ منك، وإذا اسْتَغْنَيْتَ لَمْ يَطْمَعْ فيكَ، وإنْ عَلَتْ مَرْتَبَتُه لمْ يَرْتَفِعْ عليْكَ، وإنْ تَذَلَّلْتَ له صَانَكَ، وإن احْتَجْتَ لَهُ مَانَكَ، وإنِ اجْتَمَعْتَ مَعَه زَانَكَ.

[أيضاً ص ٤٥٩]

وقال بَعْضُ الأئمةِ: النَّاسُ أرْبَعَةٌ، فاصْحَبْ ثَلَاثَةً ولَا تَصْحَبْ واحِداً: رَجُلٌ يَدْرِي ويَدْرِي أنَّه يَدْرِي، فهذا عَالِمٌ فاتبعُوه. ورَجلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أنَّه يَدْري فهذا نَائِمٌ فَنَبِّهُوهُ. ورَجُلٌ لَا يَدْرِي ويَدْرِي أنَّه لَا يَدْرِي فهذا جَاهِلٌ فعلِّمُوهُ، وَرَجُل لا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أنه لَا يَدْرِي فهذا مُنَافِقٌ فاجْتَنِبُوه.

[أيضاً ص ٤٥٤]

وكان أبو مهْرانَ يقولُ: أخْرُجُ مِنْ مَنْزِلي فأنا بَيْن ثَلَاثَةٍ: إنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ أعْلَمُ مِني، فهُو يَوْمُ فَائِدتِي أتَعَلَّمُ مِنه، وإنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ مِثْلِي فَهُو يَوْمُ مُذَاكَرتي، وإنْ لَقِيتُ مَنْ هو دُوني فَهُو يَوْمُ مَثُوبَتي أُعَلِّمُه فأحْتَسِبُ فيه الأجْرَ.

وقالَ أبو جَعْفَرٍ محمّد بن عليٍّ لابنه جَعْفَرِ بنِ محمَّد: لا تَصْحَبَنَّ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً، واصْحَبْ مَنْ شِئْتَ: الكَذَّابُ فإنَّكَ منه على غررٍ وهو مِثْلُ السَّرابِ يقرّبُ منك البعيدَ ويبعّد منك القريبَ، والأحْمَقُ فإنّك لسْتَ منه على شيءٍ يريد أنْ يَنْفَعَكَ فيضرُّكَ، والبَخِيلُ فإنَّه يَقْطَعُ بكَ أحْوجَ ما تَكُونُ إليه، والجَبَانُ فإنه يُسلِّمُكَ عِنْدَ الشّدّةِ، والفَاجِرُ فإنه يَبيعُكَ بأكْلةٍ أو بأقلّ منها. قلت: وما أقلّ منها؟ قال: الطَّمَعُ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٥]

قال أبو طَالبٍ المكيُّ: إياك أنْ تَصْحَبَ مِنَ الناسِ خَمْسةً: المُبْتَدِعُ، والفَاسِقُ، والجَاهِلُ، والحَرِيصُ على الدّنيا، والكَثِيرُ الغِيبةِ للنَّاسِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥١]

وقد كَانَ سُفْيانُ الثوريُّ رَحِمَه اللَّهُ يقول: النَّظَرُ إلى وَجْهِ الأحْمَقِ خَطِيئةٌ مَكْتُوبةٌ.

[أيضاً]

وفي الحديثِ الشَّريفِ: خيرُ صَاحِبٍ عند اللَّه تعالى مَنْ يَرْفِقُ بأصْحَابِهِ، وخَيْرُ جَارٍ مَنْ يَرْفِقُ بِجيرانِه. إياكَ ومُصَاحَبةَ جَاهِلٍ، فإنَّ صُحْبَتَهُ تصيّرك جَاهِلاً أو غَافِلاً عَنْ مَوْلاكَ الكَرِيمِ. أمَرَ في القُرآن الكَريمِ بِالاجْتِنَابِ عَنْ مُصَاحَبةِ شَخْصَيْن، وأمر بمُصَاحبةِ شَخْصٍ.

١ ـ إيَّاكُمْ ومُصَاحَبةَ الجَاهِلِ، فقد قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

٢ ـ إيَّاكُمْ ومُصَاحَبةَ الغَافِلِ. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

٣ ـ عليْكُمْ بمُصَاحَبةِ المُنيبِ، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]. فينْبَغِي للسَّالِكِ ألَّا يُصَاحِبَ إلا شَيْخَهُ أو إخْوانَه في الطَّريقةِ، إذ تَصْدُقُ عليهِمْ هذه الآية.

آداب الأخوَّة:

ينْبغِي للسَّالكين أنْ يَضَعُوا أمَامَهُمْ آدابَ الأخُوّة كلّ وقْتٍ ويَجْعَلُوا حَيَاتَهُم مُوافِقَةً لَه وفيما يلي بَعْضُ الآداب:

١ ـ يُحَاوِلُ أن يَسْبِقَ إخوتَه في المَحَبَّةِ والمَوَدَّةِ، قال اللَّهُ تَعَالى لحبيبهِ ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وذَكَرَ الصَّحَابةَ رضي اللَّه عنهم أجمعينَ بقولهِ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال شَاعِرٌ في وَصْفِ مُؤْمِنٍ كَامِلٍ ما معناه:

إذا كانَ جَمْعُ الأصْدقاءِ فَهُو مِثْلُ الحَريرِ
وإذا وَقَعَ حَرْبٌ بين الحَقِّ والبَاطِلِ فالمُؤْمِنُ حَديدُ

ومِنْ أوصَافِ المُؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الفتح: ٢٩] وقَال في مَقَامٍ آخر: ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. وقال عليه

الصَّلاة والسَّلام: «ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّماءِ».

[أخرجه الترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٥١٥]

٢ ـ يُحَاوِلُ لقَضَاءِ حَاجَاتِ أخوتِهِ. وقال تَعَالَى مُخْبِراً عَمَّن ليْسَ له صَدِيقٌ حميمٌ تنفعه شفاعته: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

ومعْنَى حَمِيم أي هَمِيمٌ، أبدلت الحاء هاء لتقاربهما، مأخوذ من الاهْتمَامِ أي مهتمٌّ بأَمْرِهِ، ففيه دَلِيلٌ أنَّ الصَّديقَ لك هو المهتمّ بك.

[أيضاً ص ٤١٤]

وكَذَلِكَ كانَ السَّلَفُ فيما ذَكَرَه الحَسَنُ وغيره قالوا: كَانَ أَحَدُهُم يَخْلُفُ أخاه في عِيالِهِ بعد مَوْتِهِ أربعينَ سَنَةً لا يَفْقِدُون إلَّا وَجْهَهُ.

[أيضاً ص ٤٢١]

ومِنْ حقّ الأخوَّةِ في اللَّه عز وجل ما نُقِلَ إلينا مِنْ سِيرةِ السَّلَفِ قال: كانَ الرجلُ يجيءُ إلى مَنْزِلِ أخيه مِنْ حيث لا يَعْلَمُ، فيقولُ لأهْلِهِ: هَلْ عِنْدَكُمْ دَقِيقٌ؟ أَلَكُمْ زَيتٌ، تَحْتَاجُونَ إلى كذا، فإن قَالُوا: ليس عِنْدَنا اشْتَرَى لَهُم مَصَالِحَهُم، ولم يَكُنِ الأخُ يفرّق بين عِيالِهِ وعِيالِ أخيه، يُقَاسِمُهُم المَؤونة قال: ويَلْقَى أَخَاهُ فلا يُعْلِمُه بشيءٍ من ذلك.

[أيضاً ص ٤٢١]

يُقَال: إنَّ مسروقاً ادّانَ ديناً ثقيلاً، وكان على أخيه خيثمة دَيْنٌ، قال: فَذَهَبَ مسروقٌ فقَضَى دَيْنَ خيثمةَ وهو لا يَعْلَمُ، وذَهَبَ خيثمةُ فقَضَى دَيْنَ مَسْرُوقٍ سرًّا وهو لا يَعْلَمُ.

[أيضاً ٤٢١]

نَظَرَ أبو الدَّرداء رضي اللَّه عنه إلى ثَوْرَيْن يَحْرُثَان في فَدّانٍ، فوقَفَ أَحَدُهُما يَحُكّ جَسَدَه فَوَقَفَ الآخَرُ، فَبَكَى أبو الدّرداء فَقَالَ لَهُ: هَكَذا

الأَخَوان في اللَّه عزّ وجلّ، يَعْمَلان للَّه تَبارَكَ وتَعالى ويَتَعاونانِ على أمْرِ اللَّه.

[أيضاً ص ٤٤٠]

٣ ـ لا يخزي أخاه بارْتِكاب خطأ، بلْ يُحاولُ لإصْلاحِهِ بطريقٍ مُناسِبٍ، رُوينا عَنْ أبي الدّرداء أنّ شَاباً غَلَبَ على مَجْلِسِهِ حتى أحَبّه أبو الدرداء، فكان يُقَدّمُه على الأشْياخِ ويقرّبه فَحَسَدُوه، وأنّ الشَّابَّ وَقَع في كبيرةٍ منَ الكَبائِرِ، فجاءُوا إلى أبي الدرداء فَحَدّثوه وقالوا له: لو أبْعَدْتَه فقال: سُبْحَانَ اللَّه لا نَتْرُكُ صَاحِبَنَا لشيء من الأشياء. ورُوينا عَنْ بعْضِ التّابعينَ، وعَنِ الصَّحَابةِ في مِثْل ذلك، وقد قِيلَ له فيه، فقال: إنما أبْغضُ عَمَلَه وإلا فهو أخي، وكذلك قال اللَّه عز وجل لنبيِّه في عشيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

ولم يَقُلْ: قُلْ إني بَريء مِنكُم لِلُحْمَةِ النَّسَبِ.

[أيضاً ص ٤٢٢]

وفي حَدِيثِ عُمَرَ رضي اللَّه عنه، وقَدْ سَأَلَ عَنْ أخ كَانَ آخاه، فَخَرَجَ إلى الشَّام فسأل عنه بَعْضَ مَنْ قَدِم عَلَيْه فَقَالَ: ذاك أَخُو الشَّيْطَانِ. قَالَ: مَهْ. قَالَ: إنَّه قَارَفَ الكَبَائِرَ حتى وَقَعَ في الخَمْرِ، فقال: إذا أرَدْتَ الخُروجَ فأذنّي، قال: فكتب إليه: بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ ـ ٣] ثمّ عَاتَبَه تحت ذلك وعَذَله، فلمّا قرأ الكِتَابَ قال: صَدَقَ اللَّه ونَصَح لي عُمَرُ. قال: فَتَابَ وَرَجَعَ.

[أيضاً ص ٤٢٢]

عَدَمُ الامْتِثَالِ بنَصِيحةِ الأخ عَلَامَةُ قَسْوَةِ القَلْبِ وكَذِبِ الحَالِ. قال اللَّه تعالى في الكاذبين: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

٤ ـ لِيَسْتُر عُيُوبَ أخيهِ وأَخْطَاءَهُ. جَاءَ في الخَبَرِ: أَسْتَعِيذُ باللَّه مِنْ جَارِ السُّوءِ الذي إن رَأى خَيْراً سَتَرَهُ وإن رَأى شرًّا ظَهَرَهُ.

[أيضاً ص ٤٢٨]

وقَدْ قَالَ الإمَامُ الشَّافعيُّ رَحِمَه اللَّه في وَصْفِ العَدَالَةِ قولاً اسْتَحْسَنَه العُلَمَاء، وحَدَّثنا عَنْ مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّه بنِ عَبْدِ الحَكَمِ قال: سَمِعْتُ الشَّافعيَّ يقولُ: ما أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمينَ يُطِيعُ اللَّه عَزّ وجَلّ حتى لا يعْصِيَه، ولا أَحَدٌ يعصي اللَّه عز وجل حتى لا يطيعَهُ، فَمَنْ كَانَتْ طَاعَاتُه أَكْثَر مِنْ مَعَاصِيه فهو العَدْلُ.

[أيضاً]

قَالَ عيسى عليه السَّلام لأصْحَابِهِ: كَيْفَ تَصْنَعُون إذا رَأَيْتُمْ أَخَاكُم نائماً، فَكَشَفَتِ الرِّيحُ عنه ثَوْبَه قالوا: نَسْتُرُه ونُغَطِّيهِ فقال: بَلْ تَكْشِفُونَ عَوْرَتَه. قالوا: سُبْحَانَ اللَّه مَنْ يَفْعَلُ هذا؟ فَقَالَ: أَحَدُكُم يَسْمَعُ في أخيه بالكَلِمَةِ فيزيدُ عليْها ويَشِيعُها بأعْظَمَ منها.

[أيضاً ص ٤٢٩]

قال ﷺ: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ سَتَرَ اللَّه عُيُوبَه».

٥ ـ لَا يَفْشِينّ له سِرًّا. قال العَبَّاسُ رضي اللَّه عنه لابْنِهِ عَبْدِ اللَّه: إنِّي أَرَى هذا الرجُلَ ـ يعني عُمَرَ بن الخطَّابِ رضي اللَّه عنه ـ يُقَدِّمُكَ على الأشْياخِ ويُقَرِّبُكَ دُونَهم، فاحْفَظْ عني ثَلَاثاً: لا تَفْشِينَّ له سِرًّا، ولا تَغْتَابنَّ عِنْدَه أحداً، ولا يُجَرِّبنّ عليك كِذْبةً. وفي بعض الروايات: ولا تَعْصِينَّ له أمْراً، ولا يطّلعنّ منك على خِيانةٍ. قال: فقلت للشعبيِّ وقد رواه: كلّ كَلِمَةٍ خيْرٌ مِنْ ألفٍ، قال: كلّ كلمة خير مِنْ عَشْرةِ آلافٍ.

[أيضاً ص ٤٣٤]

ومِنْ أَحْسَنِ ما سَمِعْتُ في حِفْظِ السِّرّ ما حَدَّثَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِنا عن

إخوانٍ له، دَخَلُوا على عَبْدِ اللَّه بنِ المُعْتَزِّ، فاسْتَنْشَدُوه شيئاً مِنْ شِعْرِه في حِفْظِ السِّرّ، فأنْشَدَهُم على البديهية:

ومُسْتَودِعي سِرًّا تبوأتُ كَتْمَه فأودَعْتُه صَدْري فَصَارَ له قَبْراً

[أيضاً]

ورُوينا عَنْ عائشةَ رضي اللَّه عنها: المُؤمنُ أخو المُؤمنِ لا يَغْتَنِمُه ولا يخشِمُه.

[أيضاً]

٦ ـ يَنْبغِي للسَّالِكِ أن يَدْعُوَ لأخيهِ بالغَيْبِ، قال رسول اللَّه ﷺ: «يُسْتَجَابُ للمرءِ في أخيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ له في نَفْسِه»، وَجَاءَ في الحديثِ: «دُعَاء الأخ لأخيهِ بالغَيْبِ لا يُرَدّ». ويقُةةةةولُ المَلَكُ: «ـ ولَكَ مِثْلَ هذا ـ كَانَ أبو الدرداء رضي اللَّه عنه يقول: إني لأدْعُو لأربعينَ مِنْ إخواني في سُجُودِي أسمِّيهم بأسْمَائِهِم».

[أيضاً ص ٤٤٠]

وكَانَ شَيْخٌ يقولُ: يَحْرُسُنَا أدْعِيةُ أكَابِرِنَا.

٧ ـ يَنْبغِي للسَّالِكِ أنْ يَدْعُوَ لأخيهِ بَعْدَ وَفَاتِه، لا يَدْرِي لَعَلَّ دُعَاءه يُسْتَجَابُ ويغفرُ للميْتِ لحُسْنِ نيَّتِهِ. قال النَّبيُّ ﷺ: «مَثَلُ المَيْتِ في قَبْرِهِ مَثَلُ الغَريقِ يَتعلّق بكلّ شيءٍ، يَنْتَظِر دَعْوَةً مِنْ وَلَدٍ أو وَالِدٍ أو أخ وإنه لَيَدْخُلُ على قُبُورِ الأمْواتِ مِنْ دُعَاءِ الأحْياءِ مِنَ الأنوارِ أمْثَال الجِبَالِ». ويقال: الدُّعاءُ للأمواتِ بمنزلةِ الهَدَايا للأحْياءِ في الدّنيا، وقد كَانَ الإخوان يُوصُونَ إخْوانَهُم بَعْدَهُم بدَوَامِ الدُّعاءِ لَهُمْ، وكَانَ عليٌّ رضي اللَّه عنه يقولُ: غَرِيبٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ له حَبِيبٌ.

[أيضاً ص ٤٤١]

وَمَا أَحْسَنَ هذا الدُّعاءَ الذي عَلّمَه اللَّه تعالى للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

على السَّالِكِ، أنْ يوسّعَ مائدتَه لأخيهِ ويَعْمَلَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدِ بنِ وَاسِعٍ، وفَرْقَدِ السَّنْجي يَدْخُلُون مَنْزِلَه فيأكُلُونَ مِنْ غيرِ أن يُؤْذَنَ لهم ويقول: ذكرتموني أخلاق قَوْمٍ مَضَوْا. هَكَذا كُنَّا نَدْخُلُ على أبي سُلَيْمَانَ الدَّارَانيّ، فَيُقَدِّمُ إلينا الطَّيباتِ ولا يأكلُ معنا ويقول: إنَّما خبأته لَكُمْ، فقُلْنَا: تُطْعِمُنا الشَّهواتِ ولا تَأْكُلُها. فقال: لا آكُلُها لأني قد تَرَكْتُ أَكْلَها، وأُقَدِّمُها إليْكُمْ لأنّي أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَشْتَهُونَها. وقَالَ: كُنَّا نُبَايتُ إبراهيم بن أدْهَمَ في المصيصَةِ وفي قُرَى السَّواحِلِ، فكَانَ يكسرُ لنا الصّنوبرَ والبندق واللوز ليْلَهُ أجْمَعَ ويَقُولُ: كُلُوا، فقلنا: لو أَقْبَلْتَ على صَلَاتِكَ وَتَرَكْتَ هذا. فيقولُ: هَذَا أفْضَلُ.

[أيضاً ص ٤٤٤]

أَبَاحَتِ الشَّريعةُ أكْلَ الطَّعامِ مِنْ بَيْتِ الصَّديقِ بغير إذْنِهِ، أَكَلَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ لَحْمِ بَريرةَ تُصُدّق بها عليها وكانت غائبةً لما عَلِمَ أنه يُسِرّها.

[أيضاً]

نَظَرَ هَاشِمٌ الأوقَصُ إلى الحَسَنِ رحمه اللّه تعالى وهو يأكُلُ من جونٍ لبقّالٍ: مِنْ هذه بُسْرةٌ ومن هذه تِينةٌ. فقال له: يا أبا سعيد، تأكلُ من مال الرجل بغير إذْنه، فقال: يا لُكَعُ، اتلُ علي آية الأكل ثم قرأ الحسن: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

[أيضاً]

وقد كان بَعْضُ النَّاسِ يفجؤُه الضّيْفُ، فلم يَكُنْ عنده ما يُقَدّمُه إليه فيذهبُ إلى مَنْزِلِ أخيهِ فيأخذُ خُبزاً وقِدْراً قد كان طَبَخَها، فيحملُه إلى

ضيفه فيَلْقَاهُ أخوهُ بعد ذلك فَيَسْتَحْسِنُه منه ويأمرُه بِفِعْلِ مثلِ هذا في كلِّ نائبةٍ.

[أيضاً]

ورُوينا أنَّ مَالِكَ بنَ دينارٍ ومحمَّد بن واسعٍ دَخَلَا مَنْزِلَ الحَسَنِ وكان غائباً فأخْرَجَ محمَّدُ بنُ واسعٍ سلّة فيها طَعَامٌ من تحت السّرير، فجعل يأكل، فدخل الحَسَنُ فقال: هكذا كنَّا لا يَحْتَشِم بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ.

[أيضاً ص ٤٤٦]

كانَ السَّلَفُ الصَّالِحون يَخْتَلِطُونَ بإخْوانِهِمُ المُسْلِمين يتآكَلُون وَيَتَمَاشَوْنَ في الأسْواقِ، يَشْتَرُونَ الحَوائجَ بأنْفُسِهِمْ ويَحْمِلُونَ هُمْ مَتَاعَهُم وَكَانَ هذا سِيْرَةَ الصَّحَابَةِ رضي اللّه عنهم والتَّابعينَ. كان عُمَرُ رضي اللّه عنه يَحْمِلُ القُربةَ على ظَهْرِه لأهْلِه، وكان عليٌّ رضي اللّه عنه يَحْمِلُ التمرَ والمِلْحَ في ثَوْبه ويَدِه ويَقُولُ:

لا يَنْقُصُ الكَامِلُ مِنْ كَمَالِهِ ... ما جَرّ مِنْ نَفْعٍ إلى عِيَالِهِ

ومنهم أبيٌّ، وابنُ مسعود، وحذيفةُ، وأبو هريرة رضي اللّه عنهم، كانوا يَحْمِلُونَ حزمَ الحَطَبِ وجربَ الدّقيقِ على أكْتَافِهِمْ وظُهُورِهِمْ، وسيّد المُرسلينَ، وإمامُ المُتّقِينَ، ورَسُولُ ربِّ العالمينَ، محمد ﷺ كان يَشْتَرِي الشيءَ فيحْمِلُه بنفسِه. فيقولُ له صاحبُه: أعْطِني أحْمِلْه عنك، فيقول: «صَاحِبُ الشّيءِ أحقّ بِحَمْلِهِ».

[أيضاً ص ٤٤٨]

كان النَّبيُّ ﷺ يَحْلِبُ الشَّاةَ ويُسَاعِدُ أهْلَهُ في إعْدَادِ الخُبْزِ، ويَكْنسُ البيت مع أنَّه يَغْلِبُ عليْهِ خَشْيَةُ اللّهِ وحُبُّه. (يتبيَّنُ مِنْ هذا التَّفصِيلِ خطأ سَالِكِينَ يَعْتَزِلُونَ عَنِ الأمُورِ المنزليّةِ بالاشْتِغَالِ بالذِّكْرِ والأوْرَادِ ويَحْسَبُونَه زُهْداً وتَقْوَى). قال عليٌّ رضي اللّه عنه: لأنْ

أَصْنَعَ مِنْ طَعَامٍ وأَجْمَعُ عليه إخْواني في اللّه أحبُّ إليّ مِنْ أنْ أَعْتِقَ رَقَبَةً.

[أيضاً ص ٤٤٤]

وكانَ أبو سُلَيْمَانَ الدارانيّ يقولُ: لو أنّ الدُّنيا كلّها لي فَجَعَلْتُها في فَم أخٍ مِنْ إخواني لاسْتَقْلَلْتُها لَهُ، وقَالَ: إنّي لأَلْقُمُ الأخَ من إخْواني اللُّقْمَةَ فأجِدُ طعْمَهَا في حَلْقِي.

[أيضاً ص ٤٣٣]

٨ ـ يَنْبَغِي للسَّالِكِ ألّا يُؤْذِي أخَاهُ أبداً. كَانَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللّه المُزَنِيُّ يَضَعُ مِيزَابَ سَقْفِهِ في سَاحَتِهِ حتّى لا يَتَأذّى أحَدٌ. نَزَلَ عَالِمٌ عِنْدَ الشَّيْخِ حُسَيْن أحْمد المدنيّ ضَيْفاً، فَقَدَّمَ الشَّيْخُ له الفَوَاكِهَ، فَرغ الضَّيْفُ مِنَ الأَكْلِ فقالَ: أنا أرْمِي القِشْرَةَ في الخَارِجِ، فَقَالَ: سَوْفَ تَرْمِي القِشْرَةَ في مَكَانٍ واحِدٍ، وسَيَرَى أطْفَالُ الجَارِ وَيَرْغَبُونَ في أَكْلِ الفَاكِهَةِ، فلمَّا لم يَجِدُوهُ في بُيُوتِهِمْ تتأذّى قُلُوبُهُم، فسأل الضَّيْفُ: فكيفَ تَرْمي أنت؟ فقالَ: أجْعَلُ القِشْرةَ قِطَعاً وأرْمي قِطْعَةً في مَكَانٍ، وقِطْعَةً في مَكَانٍ آخَرَ بعد مَسَافَةٍ فلا يَظْهَرُ برؤيتها أنَّ أحَداً أكَلَ الفَوَاكِهَ.

يجبُ التّحرّز عن إيذاء المُسْلِمينَ، ويجبُ ذِكْرُهُمْ بكَلِمَاتٍ طيّبةٍ. قال ابنُ عباسٍ رضي اللّه عنهما في وصيّتِهِ لمُجَاهِدٍ: وَلَا تَذْكُرْ أخَاكَ إذا تَغَيَّب عنكَ إلا بمِثْلِ ما تُحِبّ أنْ تُذْكَرَ به إذا غِبْتَ، واعْفِهِ بما تُحِبّ أنْ تُعْفَى به. كان بعضُهُم يقولُ: ما ذُكِرَ أخي عندي في غَيْبٍ إلا تَمَثّلتُه جَالِساً، فقلتُ فيه ما يُحِبّ أن يُسْمَعَ في حُضُورِه.

[أيضاً ص ٤٢٠]

٩ ـ ولا يَنْبَغِي أنْ يحدثَ صُورَةَ نِزَاعٍ. وفي حديثِ أبي أُسَامَةَ الباهليّ: خَرَجَ علينا رَسُولُ اللّه ﷺ ونَحْنُ نَتَمَارى فَغَضِبَ ثم قَالَ: ذَرُوا

المِرَاء لقلّةِ خَيْرِهِ، ذَرُوا المراء فإن نَفْعَه قَلِيلٌ وهو يهيجُ العَدَاوة بين الإخْوانِ.

[أيضاً ص ٤٢٩]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ عَنْ أبيهِ قَالَ: كُنْتُ باليَمَنِ وكَانَ لي جَارٌ يهوديٌّ ويُخْبِرني عَنِ التَّوراةِ، فَقَدِمَ علينا يَهُودِيٌّ مِنْ سَفَرٍ فقلت: إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد بَعَثَ فينا نبيًّا فَدَعَا إلى الإسْلَام فأسْلَمْنا، وَقَدْ نَزَل علينا مُصَدّقاً للتَّورَاةِ فقال اليَهُوديُّ: صَدَقْتَ، ولَكِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أنْ تَقُومُوا بما جَاءَكُم به، إنَّا نَجِدُ نَعْتَه ونَعْتَ أُمَّتِهِ أنَّه لا يَحِلّ لامْرِىء يَعْلَمُ مِنْهُم أنْ يَخْرُجَ مِنْ عَتَبَةِ بابِهِ وفي قَلْبِهِ سَخِيمَةٌ على أخيهِ المُسْلِمِ.

[أيضاً ص ٤٣٠]

قَالَ السَّلفُ الصَّالحون: ما يحسدُ الشَّيْطَانُ المُتَعاوِنِينَ على برٍّ حَسَدَهُ المتآخِينَ في اللَّه عزّ وَجَلّ والمُتَحَابّين فيه، فإنَّه يجهدُ نَفْسَه ويحثّ قَبِيلَه على إفسادِ ما بينهما. وقد قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥] يعني: يَقُولُونَ الكَلِمَةَ الحَسَنَةَ بَعْدَ نَزْغِ الشَّيْطَانِ، وقال عز وجل مُخْبِراً عن يُوسُفَ عليه السَّلام: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ﴾ [يوسف: ١٠٠].

[أيضاً ٤١٦]

١٠ ـ وعلى السَّالكِ أن يَنْصَحَ لأخِيه وإيَّاهُ أنْ يَفْضَحَهُ، وفَرَّقَ بيْن النَّصيحَةِ والفَضِيحَةِ فما كانَ في السرِّ فهو نَصِيحَةٌ، وما كان على العَلَانِيةِ فهو فَضِيحَةٌ، وقَلَّمَا تصحّ فيه النيّة لوجْهِ اللَّه عز وجل لأنّ فيه شَنَاعةً، وكذلك الفَرْقُ بين العِتَابِ والتَّوبيخِ، فالعِتَابُ ما كان في خَلْوةٍ، والتَّوبيخُ لا يَكُونُ إلا في جَمَاعةٍ.

وكذلك يُدَارِي ولا يُدَاهِنُ، فالمُدَارَاة ما أرَدْتَ به وَجْهَ اللَّه تعالى وطَرِيق الآخِرَةِ مِنْ دَفْعٍ عن دِينٍ وقَصَدْتَ به سَلَامَة أخيك من الإثْمِ

وصَلاحَ قَلْبِهِ للّه تبارك وتعالى، والمُدَاهَنَةُ ما اجْتَلَبْتَ به مِنْ دُنْيا وأرَدْتَ به حظ نَفْسِكَ، وكذلك الفَرْقُ بين الغِبْطَةِ والحَسَدِ، إنَّ الغِبْطَةَ أنْ تُحِبَّ لنفسِكَ ما رأيته مِنْ أخِيكَ، ولا تُحِبّ زَوَاله عنه، بل تَبْقِيَتَهُ له وإتْمَامَهُ عليه، والحَسَدُ ما أردتَ أنْ يكُونَ ذلك منه لك، وأحببْتَ زَوَالَه عنه وكَرِهْتَ تبقيته عليه، فهذا مَكْروهٌ فإن سَعَيْتَ في ذلك بِقَوْلٍ أوْ عَمَلٍ فَهُو البغيُ زيادة على الحَسَدِ، وهو مِنْ كَبَائِرِ المَعَاصِي.

وكذَلِكَ الفرقُ بين الفراسَةِ وسُوءِ الظَّنّ. إنّ الفِرَاسَةَ ما توسّمْتَه من أخيكَ بدليلٍ يَظْهَرُ لكَ أو شَاهِدٍ يبدُو منه أو علامةٍ تُشْهِدُها فيه، فَتَتَفَرَّسُ من ذلك فيه ولا تنطقُ به إنْ كانَ سوءاً، ولا تُظْهِرُه ولا تحكُمُ عَلَيْهِ ولا تقطع به فتأثم، وسوءُ الظنّ ما ظننته مِنْ سُوءِ رأيكَ فيه أو لأجْلِ حِقْدٍ في نَفْسِكَ عليه أو لِسُوءِ نيَّةٍ تَكُونُ أو خبثِ حَالٍ فيك، تَعْرِفُها مِنْ نَفْسِكَ فَتَحْمِل حَالَ أخِيكَ عليها وتَقِيسُه بك، فهذا هو سُوءُ الظَّنّ والإثْمُ، وهو غَيْبَةُ القَلْبِ وهو مُحرمٌ.

[أيضاً ص ٤٢٧، ٤٢٨]

قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا ولا تَحَاسَدُوا ولا تَقَاطَعُوا، وكُونُوا عِبَادَ اللّه إخواناً».

[أيضاً ص ٤٢٩]

ومِنْ عَلَامةِ التُّقَى حُسْنُ المَقَالِ عِنْدَ التَّفَرُّقِ، وجَمِيلُ البِشْرِ عند التَّقَاطُعِ، أنْشَدَنا بعضُ العُلَماءِ الحُكَماءِ في معناه:

إنَّ الكَرِيمَ إذا تَقَضّى وُدّه ... يُخْفِي القَبِيحَ ويُظْهِرُ الإحْسَانَا

وتَرَى اللَّئِيمَ إذا تَصَرَّمَ حَبْلُه ... يُخْفِي الجَمِيلَ ويُظْهِرُ البُهْتَانَا

فَوَصْفُ الكَرِيم في هذا المَعْنى التَّخَلّق بخُلُقِ الرُّبُوبيَّةِ، ألَمْ تَسْمَعْ إلى الدُّعَاءِ المَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللّه ﷺ في أوّله: يا مَنْ أظْهَرَ

الجَمِيلَ وسَتَرَ القَبِيحَ، ولم يُؤَاخذْ بالجَرِيرَةِ ولَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ.

[أيضاً ص ٤١٧]

وإنْشَاءُ هذه الأوصَافِ في نَفْسِهِ يُقَالُ له التَّخَلُّقُ بأَخْلَاقِ اللَّهِ. وعلى السَّالِكِ أن يُكْثِرَ مِنْ هذا الدّعَاءِ. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي اللَّه عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فقَالَ: «يَطْلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُه مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْه بِيَدِهِ الشِّمَال، فلمَّا كَانَ الغَدُ قال النبيُّ ﷺ مثل ذلك، فَطَلَع ذلك الرَّجُلُ مِثْلَ المَرَّةِ الأولَى، فلمَّا كان اليومُ الثالثُ. قال النَّبيُّ ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطَلَع ذلك الرَّجُلُ على مِثْلِ حَالِه الأولَى، فلمَّا قَامَ النبيُّ ﷺ تَبِعَه عَبْدُ اللَّه بن عَمْرٍو، فقالَ: إنِّي لَاحَيْتُ أبي فأَقْسَمْتُ أنِّي لا أدْخُلُ عليه ثلاثاً، فإنْ رأيت أنْ تُؤْوِيني إليْكَ حتى تَمْضِي فعلت؛ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عبدُ اللَّه يحدّث أنه باتَ معه تلك الثَّلَاثِ اللَّيالي، فلم يَرَهُ يقومُ مِنَ اللَّيْلِ شيئاً غيْر أنه إذا تَعَارّ تَقَلّبَ على فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عز وجل، وكبّر، حتى لصلاةِ الفَجْر، قال عبد اللَّه: غيْر أنِّي لَمْ أَسْمَعْه يقولُ إلا خيراً، فلمَّا مَضَتِ الثَّلَاث الليالي، وكدتُ أن أحْتَقِرَ عَمَلَه قلتُ: يا عَبْدَ اللَّه لم يكن بيني وبين أبي غَضَبٌ ولا هجْرَةٌ، ولَكِنْ سَمِعْتُ رَسُول اللَّه ﷺ يقولُ لك ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

«يَطْلُعُ عَلَيْكُم الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فَطَلَعْتَ أنت الثَّلاث المَرَّاتِ، فأردتُ أن آوي إليك فأنظرَ ما عَمَلُكَ فأقتدي بكَ، فَلَمْ أَرَكَ عَمِلْتَ كبير عَمَل، فمَا الذي بَلَغَ بكَ ما قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ؟ قال: ما هُو إلا ما رأيتَ، فلمَّا وليتُ دَعَاني فقال: ما هُو إلا مَا رأيتَ غَيْر أنِّي لا

أجِدُ في نَفْسي لأحَدٍ منَ المُسْلِمينَ غِشًّا ولا أحْسُدُ أحَداً على خَيْرٍ أعْطَاهُ اللّه إيّاه، فَقَال عَبْدُ اللّه: هذه التي بَلَغَتْ بكَ.

[رواه أحمد؛ الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٤٩]

لإدامةِ المُؤاخَاةِ خُلُقَانِ أساسيَّانِ: تَوَاضُعٌ وإيثَارٌ. قال عليه الصّلاة والسّلام: «مَنَ تَوَاضَعَ للّهِ رَفَعَهُ اللّهُ». قال شَاعِرٌ ما معناه:

مَنْ تَوَاضَعَ وتَخَضّعَ كَالأرْضِ غَطّاه رَحْمَةُ اللّه كالسَّماءِ

قال شَيْخٌ لمريديهِ: كَلْبٌ صَحِبَ أصْحَابَ الكَهْفِ فوُعِدَ بالجَنَّة وذُكِرَ في القُرآنِ الكريم. احْسبُوا أصْحَابَكُم كأصْحَابِ الكَهْفِ واحْسبُوا أنْفُسَكُم كَكَلْبِهِمْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِبَرَكَةِ أصْحَابِكُمْ. كَانَ الخَوَاجه فَضْل علي القُرَيشي يقول لمريديهِ:

يا مَعْشَرَ الفُقَرَاءِ انْظُروا إن الرَّأسَ مُرْتَفِعٌ كُلّما يُخطِىءُ الإنْسَانُ يضْرِبُ رأسَهُ بالنّعَالِ والقَدَمُ مُنْخَفِضٌ، وكُلّما أكْرِمَ إنْسَانٌ يأخذ النَّاسُ الأقْدَامَ ويحاولونَ لإرضَائِه فإيّاكُمْ والتَّكَبُّرَ. ويَنْبَغِي للسَّالِكِ أنْ يَتَوَاضَعَ لأخيهِ في الدينِ حتَّى لو وضَعَ قَدَمَه على صَدْرِه ومَشَى لا تَغْضَب.

كان شَيْخٌ يذكُرُ فَضْلَ التَّواضُعِ هَكَذا: الإنْسَانُ يَضَعُ جَبِينَه على الأرْضِ في السجدةِ فأحبّ اللّهُ هذا العَجْز حتى قال: أقْربُ ما يكونُ الإنْسَانُ في السَّجْدَةِ. عَلَامَةُ التَّواضُعِ أنْ يَحسبَ الآخرينَ خَيْراً وأحْسَن منه فالسَّالكُ يَحْتَرِمُ الكِبَارَ لكثرةِ حَسَناتِهِمْ منه ويَشْفِقُ على الصّغارِ لقلّة سَيّئَاتِهِمْ منه.

حكاية: كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّالِكينَ يَمْشُونَ على أقْدَامِهِمْ للحُضُورِ إلى زاويةِ شَيْخِهِمْ، فرآهم شَخْصٌ فقالَ: لأذهبُ وأطْلُبُ الدُّعاءَ مِنْ أكْبَرِهِمْ ولَايةً، فصَافَحَ الأول وقالَ: أنتَ وليٌّ فادْعُ لي فقال: أنَا خَادِمُ. والأولياء مَنْ يأتُونَ خَلْفي فَطَلَبَ الدُّعاءَ مِنَ الثَّاني، فأجَابَ هكذا: إني

خَادِمُ والأولياء مَنْ يأتُونَ بَعْدي، وهَكَذا حتَّى جَاءَ الأمِيرُ فَطَلَبَ الدُّعاءَ منه وقال: أنْتَ وليٌّ فادْعُ لي فَقَال: أنا خَادِمُ والأولياء هُمُ الذين مَضَوْا قُدَّامِي.

اللَّه أكبر كلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يحسبُ أصْحَابَه أفْضَلَ وأعْلَى مِنه. الإيثارُ أنْ يَفْضُلَ أخَاه مع حَاجَتِهِ وهو وَصْفٌ امتازَ به الصَّحَابةُ رضي اللَّه عنهم قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

وقِصَّةُ الصَّحَابيّ مَعْروفةٌ أنّ ضَيْفاً دَخَلَ بيْتَه، فوضَعَ المَائدةَ وأطْفَأ السِّراجَ ولم يأكلْ حتى يَشْبَعَ الضَّيفُ.

اجْتَمَعَ في الريّ عند الشَّيخِ أبي الحَسَنِ الإنطاكي ثَلاثُونَ سَالِكاً وكان الطَّعَامُ يكفي لِخَمْسَةٍ. وَضَع الخَادِمُ الطَّعَامَ على السُّفْرةِ وأطفأ السِّراجَ، فَرَأى الخَادِمُ بَعْضَ الطَّعَام بَاقياً. كلُّ واحِدٍ أكَلَ قَلِيلاً حتى يَأْكُلَ أخوه، وهذه الأخْلَاقُ مَنْقُولَةٌ مِنَ الصَّحَابةِ رضي اللَّه عنهم أجمعين، قَدْ دَارَ رأسُ شَاةٍ في سَبعةِ بُيُوتٍ حتى رَجِعَ إلى الأوّلِ.

تَسَحَّر وأفْطَرَ عليٌّ وفَاطِمةُ رضي اللَّه عنهما ثَلَاثَةَ أيَّام بالماءِ، وقُدِّمَ طَعَامُهُما للسَّائلِ فَنَزَلَتْ هذه الآية: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨].

طَلَبَ غازٍ جَريحٌ مِنْ حُذَيْفَةَ الماءَ في غَزْوَةِ اليَرْمُوكِ فَتَوَجَّعَ هِشَامُ ابنُ العاصِ مِنْ جَانِبٍ آخر، فأغْلَقَ فَمَهُ وأشَارَ إلى الثاني أنِ اسْقِهِ أولاً ولمَّا وَصَلَ إلى الثاني سَمِعَ صوتاً من جانِبٍ ثالثٍ، فأرْسَلَه الثاني إلى الثَّالثِ، فلمَّا وَصَلَ السَّاقي إلى الثالثِ وَجَدَهُ قد تُوفِّي، فرجَعَ إلى الأول فوَجَدَه شَهِيداً أيضاً. أسسَ هؤلاء المُجَاهِدونَ باباً جَدِيداً للإيثارِ في التَّارِيخِ الإنْسَانيّ حيثُ لم يَشْرَبُوا الماءَ عِنْدَ النَّزْعِ، وأرْسَلُوا إلى الآخَرِ ومَاتُوا عِطَاشاً.

حَبَسَتِ الحُكومَةُ مرةً ثَلاثَةً: الشَّيْخَ أبا الحَسَنِ النّوري، وشَمَّاماً، ورقَاماً، فلما جَاءَ وقْتُ القَتْلِ تَقَدَّمَ الشيخُ أبو الحسنِ النّوري إلى الجلّاد ليُقْتَلَ، فسُئِلَ لِمَ تَقَدَّمَ؟ فقَالَ: حتى يَجِدَ أخي ثَواني مِنَ الحَيَاةِ. سُبْحَانَ اللّه! إنّ هؤلاء سُقُوا نَبَات المُؤاخَاةِ بالإيثارِ حتى أصْبَحَتْ شَجَرَةً أصْلُها ثَابِتٌ وفَرْعُها في السَّماء. عَلّمَ الإسْلَامُ الإيثَارَ للصَّاحِبِ بالجَنْبِ فَضْلاً عَنِ الأخوة في الطّريقة والأعزّة والأقَارِب.

إنّ الأخوَّةَ في اللّهِ والمَحَبَّةَ في اللّهِ وحُسْنَ المُصَاحَبَةِ مِنْ دَأْبِ السَّلفِ الصَّالحين، وفُقِدَتِ اليَوم وذَهَبَتْ آثَارُها. مَنْ يَعْمَلْ بها يُحْيِيها ومَنْ يُحْيِيها يَنَال أجْرَ مَنْ يَعْمَلُ بها بَعْدَه. السَّالكُ الذي وَجَد أخاً مُخْلِصاً عليه أنْ يَشْكُرَ اللّه تعالى ويقولَ: الحَمْدُ للّه ربِّ العَالَمِينَ.

ملحوظة: مُعْظَمُ القِصَصِ المَذْكُورةِ في الأخوّة الإسْلاميّة مأخُوذٌ من كِتَابِ قُوتِ القُلُوبِ لأبي طَالِبِ المَكّيّ.